مقدمة في العلوم التربوية

تأليف ج. ميالاريه

ترجمة
صالح عبد الله جاسم*

مراجعة وعرض
محمد عماد محمد عدنان منصور**

بالرغم من أن هذا الكتاب صدر عام ١٩٩٦، إلا أنه قدم لنا من خلال فصوله نظريات وآراء عديدة لمفهوم " العلوم التربوية " أو " علم التربية "، ومناقشاً تطورها التاريخي وكيفية ربطها بالعلوم المستحدثة، منوها بالبحوث التربوية وأثرها في هذا المجال معتمداً في ذلك مراجعاً هامة باللغة الأجنبية أوردها نهاية الكتاب.

وقد ترجم هذا الكتاب عن كتاب بعنوان (Introduction to the Educational Sciences) صادر في باريس عام ١٩٨٥ للمؤلف (ج. ميالاريه)، وذلك بالتعاون بين جامعة الكويت ومنظمة اليونسكو (طبعة أولى عام ١٩٩٦)، بغرض عرض آراء ومفاهيم حول مصطلح " العلوم التربوية " من وجهات نظر متعددة، بغية الوصول إلى صيغة موحدة وإزالة الغموض عن بعض جوانبه.

ويوضح الكتاب أوجه الاختلاف بين التربويين بالنسبة لهذا المفهوم، ويميز بين وجهتي نظر هؤلاء في أوربا وأمريكا، ويقدم مفهوم استخدام العلوم الاجتماعية – بخلاف علم النفس – في دراسة التربية، وقد لا يحسم هذا الكتاب الخلاف التصوري للمفهوم ولكنه يصف وجهة النظر الأوربية بشكل جيد.

* أستاذ مشارك-كلية التربية-جامعة الكويت.
** باحث بوزارة التربية والتعليم – دولة قطر.

مراجعات
الكتب الحديثة

وباختصار فإنه يقدم كمدخل واحد لمناظرة مستمرة حول ما يعنيه مجال العلوم التربوية، والأفكار والآراء في هذا الكتاب هي أفكار وآراء المؤلفين ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر منظمة اليونسكو.

ويقع الكتاب في ١٥١ صفحة من الحجم المتوسط، يضم خمسة فصول بالإضافة للمقدمة والخاتمة وقسماً خاصاً في النهاية لمجموعة المراجع باللغة الإنجليزية.

الفصل الأول: أوجه عدم اليقين بالنسبة لمصلح " العلوم التربوية "

وفيه لمحة تاريخية لتطور مفهوم "العلوم التربوية" عبر تطويره بواسطة العلوم الإنسانية الأخرى، فقد تكلم المؤلف عن عمر المصطلح حيث إنه لم يدرج في أي من المعاجم الفرنسية حتى مطلع السبعينيات من القرن الماضي، بينما نجد أن المصطلح غير وارد في الموسوعة الصادرة عام ١٩٨٦ بعنوان (Encyclopaedia University) حيث إنه اتسم بالغموض للكثيرين مثل كلمة " تربية " وكلمة " تنشئة "، ويبرز اختلاف البعض حول كونه "علم التربية " أو العلوم التربوية بالجمع أو المفرد ، وهل له ارتباط بمفهوم التدريس كما وصفه (Reymond Buyse) أو " تربية عملية " كما رآه (Bain) حيث سيصبح فيما بعد " تربية تجريبية "، وهكذا نرى أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر اجتهد الكثير من العلماء لوضع تفسير لهذا المصطلح.

ويختم الفصل بأن علم التربية أو العلوم التربوية تمكن من التطور نتيجة للتطور في علم النفس وعلم نفس الطفل وبعض أفكار علم الاجتماع حيث أثرت في إعداد المعلم الذي يعتبر المجال الأول للتطبيقات التربوية.

كما أن تطور أصول التدريس وبحوثه الأولية عالجت تاريخ المذاهب التربوية ومع ذلك فان الفترة بين ١٩٤٥-١٩٥٠ كنا لا نزال بعيدين عن الثورة الحالية للعلوم التربوية إضافة إلى أن التطور التكنولوجي ساهم فيما بعد في تطور هذا العلم كما ورد في خطة (Berger) التي تعتمد استخدام قمر صناعي للاتصالات مخصص للتربية.

الفصل الثاني: المعاني الكثيرة لكلمة " تربية "

من تربية الإنسان المهذب لتربية الإنسان القادر على حل المشكلات يقدم المؤلف تحليلاً لمفهوم " العلوم التربوية " كما هو مستخدم اليوم مذكراً بمصطلحات عديدة

مـــثل " التربية قبل المدرسة "، و" التربية مدى الحياة "، و" التربية البدنية "، أو " التربية الاجتماعية "، أو " التربية الحديثة "، فنجد أن كلمة تربية أصبح لها معاني كثيرة.

ومع وجود هذه المصطلحات نجد أننا في مواجهة أربعة معاني أساسية على الأقل لكلمة " تربية " هي: (أ) التربية كمؤسسة تربوية. (ب) التربية كنشاط. (ج) التربية كمضمون أو محتوى. (د) التربية كناتج.

فالتربية كمؤسسة تعليمية هي ناتج الهياكل التنظيمية في بلد أو مجموعة بلدان أو في زمن معين، وهي تعمل وفق قواعد دقيقة لتحقق تعليم التلاميذ (التربية السوفيتية أو التربية الأمريكية ... مثلاً).

أما التربية كنشاط أو (كفعل) فهو أكثر المعاني استخداماً حتى العام ١٩٥٠م وهو التعريف المسيطر والذي أعطاه لها عالم الاجتماع (دور كايم) في مطلع القرن العشرين، حيث تعرف بأنها النشاط أو الفعل الذي تمارسه أجيال من البالغين على أولئك غير الجاهزين للحياة الاجتماعية بعد.

وبعد عام ١٩٢١م اقترحت العصبة الدولية للتربية الحديثة تعريفـاً آخر فحواه: " تعمل التربية على تنمية استعدادات كل شخص إلى أقصى حد بأكمل وجه ممكن، باعتباره فرداً، وفي الوقت ذاته باعتباره عضواً في مجتمع يحكمه التضامن، وبغض النظـــر عن اختلاف التعريفين فإنهما تضمنا مشكلة الأهداف والنشاط والذي كرس التربية " كنشاط ".

أما التربية " كمضمون " فهي تتمشى مع ما نسميه " المناهج " ولكن ليس بالشكل المتطابق، فمؤتمر باريس عام ١٩٤٧ كان عنوانه " العلوم الإنسانية العلمية " وهذا يبتعد كثيرا" عن المناهج ولكنه يقترب من مفهوم تقصي المعرفة.

وتؤكـــد التربيـــة " كنـاتـــج " نتيجة " التربية كنشـــاط " المطبـــقة على التربيـــة " كمضمون " داخل إطار " التربية كمؤسسة " حيث لم تعد تربية القرن الثامن عشر والهادفة إلى تربية إنسان مهذب هي تربية القرن العشرين والهادفة لتربية إنسان يستطيع التكيف مع المواقف الجديدة ويحل المشكلات.

مراجعات
الكتب الحديثة

ثم يقدم المؤلف مجالات التربية المعاصرة من وجهة نظره والتي ربطها بمراحل الحياة:

- التعليم الرسمي.
- امتداد التعليم الإجباري.
- تطور التعليم الفني.
- تطور تعليم ما قبل المدرسة.
- التعليم مدى الحياة.
- تعليم الكبار.
- من الميلاد حتى الموت.

وخلال هذا العرض نجد أنَ مصطلح" التربية " يستخدم دائماً ولكن ليس بنفس المعنى على الدوام، ويقدم المؤلف تخطيطاً يوضح فيه ارتباط التربية بالتربية الأسرية والتعليم الرسمي والتعليم الموازي، حيث إن التربية هي نتيجة للنشاط والتفاعل مع العوامل الثلاثة.

الفصل الثالث: حقائق ومواقف تربوية

يقدم المؤلف في هذا الفصل موجزاً للموقف التربوي، حيث التفاعل بين المجتمع وبين فئة المتعلمين وفئة المربيين، ويبين تأثير عمل البيئة على المتعلم، وأن المتعلم بشكل مفصل يخضع لتأثير الأقران من جهة والمربون والبيئة من جهة أخرى، رغم أن الموقف التربوي دائماً يكون بين مكونين أساسين هما: عامل المربي وعامل المتعلم.

ومن ثم يوجز المؤلف العوامل التي ستوضع في الحسبان لتحليل وفهم الحقائق والمواقف التربوية في ثلاث فئات:

- عوامل تعتمد على ظروف عامة للمدرسة داخل المجتمع.
- عوامل تعتمد على ظروف محلية للمدرسة وتحدد إنجازاتها.
- عوامل مرتبطة بالموقف التربوي نفسه.

الفصل الرابع: محددات الحقائق والمواقف التربوية

تحدث المؤلف عن العوامل المؤثرة (المحددة) في المواقف التربوية حيث قسمّها إلى مجموعتين فرعيتين: الأولى مرتبطة بالمجتمع من حيث الفلسفة السياسية والهيكل الاجتماعي والتنظيم الاقتصادي والمستوى التقني ... حيث الربط بين " متغيرات المجتمع " و" المتغيرات التربوية "، أما المجموعة الثانية فقد قسمها إلى ستة متغيرات فرعية هي:

الهيكل التنظيمي للمؤسسة التعليمية، والمناهج وطرق التدريس وأساليبها، والتجهيزات المادية، وتعيين هيئة التدريس وإعدادها، والميزانية المخصصة للتربية.

ثم يقدم دراسات وأوراق عمل لبعض التربويين مثل: فلسفة التربية لـ (O.Reboul) ، وتاريخ التربية لـ (A.Leon) ، وعلم الاجتماع التربوي لـ (G.Mialaret and V.Isambert-Jamati)، و التخطيط التربوي لـ (S. Lourie) والاقتصاديات التربوية لـ (Francois Orivel)، والإدارة التربوية لـ (L. Tiburcio).

ولعل موضوع التربية المقارنة بقلم (Le Thanh Khoi) من أكثر المواضيع التي تثري القارىء حول نشأة وتطور هذا العلم، حيث تم تعريفها على أنها (علم يستهدف اكتشاف وتحليل وتفسير أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الحقائق التربوية في علاقته بالسياق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي) وربطها بالعلم ونظام القيم، وحدد مسيرة تطورها بين أسماء علماء التربية من دراسات في التربية إلى مفهوم وتعريف لا يزال قابلاً للمناقشة والتطوير، حيث لا تزال الجدلية حول طبيعة علم التربية المقارنة وأغراضها ومنهجيتها والهدف الذي تخدمه.

وتطرق في هذا الفصل " لعلم النفس التربوي " الذي يعتبر من أكثر العلوم التربوية أهمية، ورسم المجال العلمي له، حيث تتقاطع المدرسة مع علم النفس العام وعلم النفس الوراثي في نقطة التقاء مع علم النفس التربوي، الذي يرتبط بمجالات المعرفة والعلوم الأخرى مثل علم النفس الاجتماعي، وعلم التقويم، وعلم الطرق.

وفي نهاية الفصل بين المؤلف وجهة نظره بمخطط عام رابطاً فيه العلوم التربوية بأربعة محاور هي: (تاريخ التربية)، و(تطور المدرسة والمجتمع – علم الاجتماع التربوي)، و(العمليات والجوانب النفسية – علم النفس التربوي)، و(المواقف التربوية الحالية – علوم الاتصال وعلم التقويم التربوي).

الفصل الخامس: الوحدة والتنوع في العلوم التربوية

يتحدث المؤلف في هذا الفصل عن المكانة المعرفية للعلوم التربوية وطرق البحث فيها حيث عدد عدة طرق ووسائل :

- الطريقة التأملية أو طريقة التحليل الفلسفي.
- طريقة التحليل التاريخي.

مراجعات الكتب الحديثة

- الملاحظة في كل أشكالها.
- المقابلة الشخصية.
- طريقة دراسة الحالة.
- طريقة المسح.
- الطريقة التجريبية وتحليل النظم.

كما عدد مجالات الاهتمام في العلوم التربوية مثل: (الفشل في المدرسة)، و(كفاءة نظام التربية)، و (العلاقة بين المدرسة والعالم المهني) ومجالات أخرى.

وختم المؤلف الكتاب بخاتمة وفق فيها في إيجاز الخطوط العريضة والمحاور التي تناولها عبر تقديمه لتاريخ نشأة وتطور مفهوم " العلوم التربوية "، التي ستكون قابلة للتطور مستقبلاً نظراً لظهور تكنولوجيا حديثة.

فالتربية نشأة كونها ممارسة اجتماعية ولم تكن كما نراها اليوم فيه، فتطورها من " فن التدريس " إلى كون المدرس مبتدع المعرفة التربوية، فصناع القرار لابد لهم أن ينظروا إلى النظام التربوي ككل (هيكل تنظيمي وعمل وإفراد)، ويجب أن تكون لديهم صورة واضحة وكاملة عن المواقف والاتجاهات الحالية في النظام التربوي.

إن البحث العلمي أصبح أساسياً لتطوير هذا المفهوم، لأن التربية أصبحت مشروعاً مستمر التطور، والمشكلة ليست بهذه البساطة فهناك بعض المشكلات المميزة بالنسبة للبحث التربوي بسبب أن التربية ممارسة اجتماعية.